# القيم الإنسانية في الفكر الهندوسي المعاصر

**الأستاذ الدكتور**
**أسعد حميد أبوشنة**
assadhameed@mu.edu.iq
**جامعة المثنى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية**

# human values In contemporary Hindu thought

Prof. Dr.
Asaad Hameed Abushanh
Al-Muthanna University - College of Education for Human Sciences

**الملخص:-**

حوت الهند على أديان العالم الرئيسية تقريباً، وقد تباين عدد معتنقي تلك الاديان من ولاية هندية إلى أخرى، لذا فإن الهند هي أكثر بلدان العالم تنوعاً من الناحية الدينية، مع تفوق واضح للديانة الهندوسية التي يعتنقها الاغلبية من الشعب الهندي؛ وبالتالي أصبحت باقي الديانات أقليات دينية ومعتنقيها أقليات عرقية، أو دُمج بين الديانة ومعتنقيها، فصار الهنود المسلمون أقلية مقابل الهنود الهندوس، وهكذا باقي الاقليات الدينية الهندية، نتيجة لذلك ظهرت العديد من الارهاصات في المجتمع الهندي، ألقت بظلالها على نمط عيش المجتمع في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى وصل الأمر إلى صياغة مستقبل الهند؛ الأمر الذي جعل المفكر الهندوسي المعاصر يتحرك لإمتصاص رواسب تلك الارهاصات، من خلال التأكيد على الجانب الانساني في الديانة الهندوسية، في محاولة لتأكيد حيوية تلك الديانة، وهذا ماسنحاول التطرق إليه في هذا البحث.

**الكلمات المفتاحية:** الهندوسية، الفكر، القيم الانسانية، طاغور، غاندي

**Abstract:-**

India whale almost the world's major religions, and the number of adherents of those religions has varied from one Indian state to another. Therefore, India is the most diverse country in the world in terms of religion, and with a clear superiority of the Hindu religion espoused by the majority of the Indian people; Consequently, the rest of the religions became religious minorities and their adherents were ethnic minorities, or the religion was merged and embraced, so the Muslim Indians became a minority compared to the Hindu Indians, and so did the rest of the Indian religious minorities., which made the contemporary Hindu thinker move to absorb the deposits of those indications, by emphasizing the human aspect in the Hindu religion, in an attempt to confirm the vitality of the Hindu religion, and this is what we will try to address in this research.

**Keywords:** Hinduism, thought, human values, Tagore, Gandhi

## المقدمة:

إمتازت الفكر الهندوسي بالبراغماتية المواكبة للتطور الفكري الذي يعيشه العالم، إذ لم يشأ رواد الهندوسية المعاصرون بقاء فكرهم الديني حبيس الفلسفة الهندوسية القديمة التي لازالت القائمة وتركز على الجانب الذاتي، المؤمنة بامكانية بقاء الهندوسية دون أن تتأثر أو تؤثر في محيطها الجغرافي، رغم أن الهند من أكثر البلدان تنوعاً من النواحي الدينية والعرقية والثقافية، لذا حاول المفكرون الهندوس المعاصرون البحث عن العنصر الانساني في الهندوسية؛ كون ذلك العنصر هو المجال الذي تتواصل فيه الفلسفات والافكار مهما اختلفت منابعها واهدافها، مع الآخذ بنظر الاعتبار عدم الانحراف عن مبادئ الهندوسية بالدرجة الأساس، والظروف المرحلية التي مرت وتمر بها الهند في تاريخها المعاصر، إلى جانب عدم إغفال ثوابت التاريخ، وهذه المهمة ليست باليسيرة.

وبناءً على ذلك قسمنا البحث إلى جملة من المواضيع على النحو الاتي: الهندوسية لمحة عامة، الأخلاق في الهندوسية، الهندوسية الحديثة - تبلور القيم الانسانية في الفكر الهندوسي الحديث، رواد الهندوسية الحديثة، موقف الهندوسية من العلاقات بين الاديان، فضلاً عن الخاتمة التي حوت اهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

## الهندوسية لمحة عامة:

يمكن تعريف الهندوسية بأنها عقيدة هندية النشأة تكونت من معتقدات الهندوس وممارساتهم الدينية، وكانت كلمة (هندوس) منذ بداية ظهورها حتى القرن السادس قبل الميلاد، مصطلحاً جغرافياً أشار إلى (الهند أو منطقة بالقرب من نهر السند، أما كلمة الهندوسية(Hindusim) وهي مصطلح انكليزي ظهر حديثاً في بداية القرن التاسع عشر لوصف المعتقدات والممارسات الدينية لسكان الهند)، فيما فضل غالبية الهندوس تعريف الهندوسية بأنها: (تركيبة كاملة من المعتقدات والمؤسسات التي ظهرت في زمن تأليف كتبهم القديمة المقدسة، والتي أقدسها الفيدا)[١]، واستعمل الهندوس المعاصرون هذا المصطلح، ولكن فيما بينهم كانوا يستعملون الكلمة القديمة (دارما) التي تعني (طريقة للعيش)، ويعتقد الهندوس أن الهندوسية ليست ديانة بالمعنى المألوف، بل هي طريقة حياة استوعبت عبر تاريخها الطويل كل التحولات والمؤثرات التي مرت بها وأعادت نشرها داخل عقادئها التكوينية[٢].

## لمحة تاريخية عن تطور الهندوسية:

رغم الوحدة الظاهرية في الديانة الهندوسية، إلا أنها تمثل منظومة من المعتقدات والافكار والفلسفات الدينية التي استمر ظهورها على مدى ٤٠٠٠ سنة تقريباً، وتمتد مرحلة الهندوسية المبكرة مابين(١٧٠٠-٨٠٠)ق.م تقريباً، وتنقسم بدورها إلى:

### ١- المرحلة الفيدية المبكرة (١٧٠٠-١٠٠٠)ق.م

تعني(الفيدا): المعرفة أو الحكمة، أو العلم المقدس، أو العرفان، نشأت خلال هذه المرحلة الكتب الاربعة، والتي يجب أن نفرق فيها بين مرحلتين منها هما: التاليف الشفاهي خلال القرن الخامس عشر ق.م، والتدوين ما بين القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م تقريباً[٣]، والهندوسية من أقدم الديانات في الهند واكبرها من حيث عدد معتنقيها، ولها أثر كبير في كل مظاهر الحياة في البلاد، وقد انتشر الهندوس في جميع الولايات الهندية وسيطروا على معظم جوانب الحياة السياسية والاقتصادية، وليس للدين الهندوسي في هذه المرحلة علماء، بل لديهم مجموعة من الكتب التي يعدونها مقدسة [٤].

لذلك يمكننا القول ان الهندوسية تركت انطباعاً لا يمحى على ثقافة الهند ومجتمعها بأكمله: فلسفةً، وفناً، وعمارةً، وأدباً، وسياسة.

رغم إن الهندوسية ترتكز بشكل أساسي على تعاليم الفيدا، إلا أنها مشتقة ثانوياً من القيم والمفاهيم الدينية للعديد من القديسين والانبياء والمُشّرعين منذ العصور القديمة وحتى العصور الوسطى والحديثة، وبالتالي فهي بناء ينمو ويتطور مرتكز على حقائق جديدة تنبثق عن التجارب البشرية، وتحتوي نصوص الفيدا على معلومات تتعلق بطبيعة الحقيقة النهائية والخلق والروح ومصيرها، وهي أشياء لا يمكن تحديدها عن طريق المعلومات الحسية والتفكير، كما إنها تتحدث عن الالهة والجنان والمسالك المختلفة التي تتبعها الروح بعد الموت، وقعت الفيدا في ٨٠٠ مجلد تم تأليفها خلال ١٠٠٠ سنة تقريباً، وقد كُتبت باللغة السنسكريتية في حدود عام ٧٠٠-٦٠٠ ق.م، ويسميها الهندوس (أبوريوشيا-Apauruseya)، كما سميت الفيدا (شروتي) أي ما هو مسموع تميزاً لها عن نصوص أخرى عرفت بأسم (سمرتي)، وقد عدّ اللاهوتيين المتشددين الفيدا بمثابة الوحي، وتتكون الفيدا من أربعة أجزاء هي:

ريـج فيـدا Rag-Vida، يـاجورا فيـدا Yajur-Vida، سـاما فيـدا Sama-Vida، أثـار فيدا Athar-Vida، سمهيتا Samhita[٥]، وكل واحدة من هذه الفيدات الاربع تحتوي على أربع أجزاء[٦].

**٢- الهندوسية البرهمية(Brahmanism)٧٠٠-٦٠٠ق.م**

شهدت الهند في هذا العصر تطورات عدة على المستوى السياسي والديني والاجتماعي، فعلى المستوى السياسي ظهرت دويلات المدن أو الممالك ككيانات سياسية أسسها القادمون الجدد من خارج الهند وهم الاريون، أما من الناحية الدينية فقد ظهرت البرهمية كطبقة دينية أحكمت قبضتها الدينية والسياسية على شمال الهند، وأسست لنظام الطبقات الموجود في المجتمع الهندوسي: الكاشتريا وهم النبلاء والمحاربين، البراهمة وهم الكهنة، الفايسياس وهم عامة الشعب من الاريين، العبيد وهم العبيد السود من غير الاريين[٧].

**٣- الهندوسية (الكلاسيكية)٨٠٠-٦٠٠ق.م**

شهدت هذه المرحلة تطورات دينية وسياسية مهمة في تاريخ الهندوس تمثلت بظهور الاوبانيشاد التي مثلت النزعة الروحية التأملية بعد ان كاد الدين الهندوسي يفقد تلك النزعته ويتحول إلى طقوس شكلية، واستغرقت كتابة نصوصها مابين عامي ٧٠٠-٣٠٠ق.م، وقد أسست الاوبانيشاد إلى مفهومين هما:(براهمان) الذي يمثل الله، و(أتمان) وهي روح الفرد، ولا يوجد فرق بينهما، فالثانية جزء من الاولى، أما المفهوم الثاني فهو: ان كل روح بمفردها سرمدية[٨].

ومن أهم التطورات السياسية والدينية التي ظهرت في هذا العصر هو ظهور ملحمتي الرامايانا والمهابهارتا، أما ملحمة الرامايانا فاخذت أسمها من رام Ram وهو الإله فيشنو Vishnu قد تجسد في صورة انسان وولد في صورة رام[٩]، وبحسب ملحمة Ramayana الرامايانا التي تحكي قصة رام، والتي دارت احداثها في (أيود-هيا) وتعني (عدم الخضوع والاستسلام)[١٠]، وقد سردت ملحمة (الرامايانا) تلك القصة وملخصها أنّ رام أمير أيودها والابن الأكبر لملكها داشراث Dashrath ملك كوسالا Kosala في أيودها[١١]، والكوساليون يّدعون أنهم أبناء الشمس فهبطوا وأسسوا مدينة عظيمة هي أيودها، وكان لهذا الملك زوجة أخرى غير والدة رام ولها ابن آخر وكانت تتمنى أن يكون أبنها هو الملك بعد والده، الذي

كان يفضل ولده الأكبر رام لحب الناس له، وعندما أحس الملك الأب بكبر سنه قرر ترك العرش لرام، فأثار ذلك تلك الزوجة وطلبت إلى زوجها الملك أن يحقق لها أمنيتها التي وعدها في وقت سابق بتحقيقها مهما كانت، لذا تمنت أن ينفي الملك ولده رام مدة خمس عشرة سنة وقد نفذ لها تلك الأمنية، ثم توفي الملك الأب حزناً على فراق رام الذي أمتثل لرغبة والده، لكن ولدها أخ رام غير الشقيق رفض ذلك ورفض الجلوس على العرش، ورافق رام في رحلته في المنفى زوجته سيتا Seta إلهة الخصب، وأخوه غير الشقيق لكشمن Lakshman، وبعد أن خاض رام مجموعة من التجارب عاد إلى أيودها وحكمها كملك[١٢]، ثم خلفه ابنه لافا Lava الذي حكم مملكة أوتار كوسالا Uttar Kosala وهي جزء من أيودها المذكورة في الأسطورة، وتُعرف هذه المنطقة باسم آخر هو (كوندا) التي تقع في شمال مملكة أوده، أما عاصمة لافا فكانت مدينة (سرافاستي) التي عُرفت فيما بعد بـ: (ساهت ماهت) Sahet Mahet وتقع آثارها البارزة على حدود هذه المنطقة، وهنالك آثار مدينة أخرى تقع على بعد ٤٠ميلاً من ساهت ماهت[١٣]، أما تاريخ هذه الملحمة فهنالك اختلاف واضح بشأنه تراوح بين عامي١٥٠٠ق.م[١٤]، و١٠٠٠ق.م[١٥].

حوت ملحمة الرامايانا على أبعاد دينية كثيرة، أهمها تجسيد فيشنو من خلال (راما) بطل الملحمة ببعديها الديني والدنيوي، كتعبير عن فكرة التناسخ بين الالهة والبشر، وكان اتباع العبادة الفيشنوية يتعاملون مع ملحمة الرامايانا بمثابة النص الديني، إذ جسدت انتصار الخير على الشر وتجسد فيشنو في راما، وكذلك رفع سيتا إلى السماء[١٦].

لقد أشارت المصادر إلى أن الرامايانا أقدم من ملحمة (المهابهاراتا) *Mahabharata* نسبة إلى ملك دلهي بهارات، ويقع تاريخها بين القرن الرابع ق.م والقرن الرابع الميلادي، ولهذه الملحمة أهمية دينية كبيرة فضلاً عن أهميتها التاريخية، فالمهابهاراتا تعد سجلا دقيقا للآلهة والملوك، فالإله الذي لا يرد ذكره في المهابهاراتا لا يُعد إلهاً عند الهندوس[١٧]، وقد ورد ذكر رام في المهابهارتا[١٨]، أما الجزء الديني من الرمايانا فشمل الفصول من ٢٣-٤٩ عندما خاطب كريشنا الامير رام حول التوحيد والتثليث، وهو أقرب الكتب المقدسة إلى الهندوسية الحديثة، وكما أشرنا ان الفصول ٢٣-٤٩من المهابهاراتا أو(الكتاب السادس) كتاباً دينياً مهماً قائماً بذاته يُعد الان من أكثر الكتب الدينية قداسة، وتشكل تعاليمه جوهر

الهندوسية الحديثة وهو عبارة عن ٧٠٠ مقطع بواقع ١٢ فصلاً، وقد أُطلق على تلك الفصول(بهاغافاد غيتا) وتعني(الانشودة الالهية)، وقد حكت هواجس الامير أرغونا في حربه مع ابناء عمومته، فيقوم الاله فيشنو -الذي تجسد في كريشنا-بالحديث معه وتوجيهه لاهوتياً، وألقى مواعظه اللاهوتية التي أصبحت في الغيتا بمثابة الكتاب المقدس للهندوس[١٩].

أما معنى (المهابهاراتا)، فهذه الكلمة مكونة من عدة مقاطع، فتعني في السنسكريتية: (الكامل والعظيم)، فمثلاً: مها-راجا تعني: الملك العظيم، أما(بهارتا) فهو أسم أول شخصية في هذه الملحمة، وكذلك أسم عائلته وسلالته، وهكذا يمكن ان تكون ترجمة الملحمة كالاتي:(الكامل في تاريخ البهراتا)، وتعني كلمة(بهراتا) في سياقها العام: الهندوس والبشر بشكل أشمل؛ لذا يمكن ترجمتها على النحو:(الكامل في تاريخ البشر)، وتروي المهابهاراتا قصة الصراع بين أبناء عم هم ل(الباندافا) أو أبناء باندو وهم خمسة اخوة من جهة، وبين (الكاورافا) وهم مائة أخ(أبناء الملك الاعمى دريتاشترا)، وقد دار الصراع حول من يحكم، ذلك الصراع الذي تحول إلى حرب ضروس، ولاشك في أن لأحداث المهابهاراتا جذور تاريخية لا يسعنا التطرق إليها[٢٠].

إن تلك النصوص لم تُختلق من قبل بعض الكهنة الذين إستحوذت عليهم بصيرة نادرة بلغوها من خلال القواعد الاخلاقية والتركيز المكثف، والتخلي التام عن اللذات العابرة، وهؤلاء المتبصرون في الحقيقة سواء كانوا رجالاً أو نساءً أُطلق عليهم أسم ريشي(Rishi)، وكانوا يعيشون في الاغلب على ضفاف نهري الاندوس والغانج في شمالي الهند، ولايعرف شيئ عن حياتهم الشخصية؛ لأن الأفكار التي يمثلونها كانت تستهوي الهندوس القدماء وليس المعاصرين، ووفقاً للفلاسفة الهندوس إعتمد التوصل إلى الحقائق الروحية على ثلاثة عوامل: الكتب المقدسة، المنطق، التجربة الشخصية، ويجب على الراغب بدراسة الكتب المقدسة التي سجلت التجارب الروحية للكهنة القدماء أن يساعده معلم مؤهل اخلاقياً، ثم عليه أن يُخضع التعاليم التي تلقاها للتحليل المنطقي الصارم، وأخيراً بعد أن يقتنع بصحة ما درسه يجب أن يتأمله ويختبره في إستغراق عميق[٢١].

إلى جانب نصوص الفيدا هنالك نصوص ثانوية أعطت تاويلاً شعبياً لحقائق الفيدا الفلسفية، وهي السمرتيSmritis، والبورانا puranas، وهذا النصوص يجب ان لاتتناقض

مع الفلسفة المركزية للفيدا التي وضعت في الاوبانيشاد، ولكن عليها أن تُظهر كيفية تطبيق هذه الحقائق على المجتمع والحياة الفردية وفقاً لمتطلبات الازمنة المتغيرة[٢٢].

تعد الهندوسية من وجهة النظر الفلسفية ديانة لا ثنائية، وتؤكد الفلسفة الهندوسية على اللاثنائية الجوهرية لله والروح والكون، ورغم أن الديانة الهندوسية تفسح المجال أمام العديد من الالهة الشعبية للظهور فهي تنظر إليها كتجليات متعددة لله الواحد، يلبي من خلالها رغبات أتباعه، أما تلك الالهة في الثالوث المكون من: براهما، فيشنو، شيفا، وهم يمثلون المظاهر الثلاثة للالوهية التي تتحكم بصيرورات الخلق والبقاء والفناء على التوالي، وأي واحد من ذلك الثالوث ناقص ووهمي بدون الاثنين الاخرين[٢٣].

أما من الناحية الدينية فهي ديانة توحيدية، فالدين وفقاً للهندوسية هو تجربة وليس مجرد قبول لبعض العقائد المأثورة أو المعتقدات، فعلى سبيل المثال إذا أردت أن تعرف الله يجب أن تصبح مثل الله، فالانسان يمكن أن يقتطف من النصوص وأن يشارك في الطقوس وأن يقدم الخدمات الاجتماعية ويصلي بانتظام، ولكن طالما لم يحظر الله في قلبه يبقى كائناً ظواهرياً، بمعنى أن تلك الافعال تكون شكلية وضحية لثنائيات الاضداد، ويمكن تلخيص المبادئ الرئيسية الاربعة للهندوسي على النحو الاتي: الله واحد، ألوهية الروح، وحدة الوجود، تناغم الاديان[٢٤].

## الأخلاق في الهندوسية:

إن الاخلاق الهندوسية ذاتية أو شخصية عموماً كونها تهدف إلى إزالة المدنسات الذهنية كالجشع والانانية من أجل بلوغ الخير الاسمى، وقد أهتم المفكرون الهندوس بالاخلاق التي تؤثر في حالة المجتمع الهندوسي وتحسن أوضاعه، وترتكز تلك الاخلاق على (الدارما)، أو الواجبات المرتبطة بموقع الانسان في المجتمع ومراحل حياته، فالاخلاق وفقاً للهندوسية هي تحضير لهدف معين، بما أنها تهدف إلى مساعدة المجتمع على التخلص من الانانية والجشع وباقي الصفات السيئة، بهدف خلق محيط يساعد على تحصيل الخير الاسمى الذي يرتقي بالمجتمع، وترتكز العقيدة الهندوسية في الاخلاق على تعاليم الاوبانيشاد والفيدا، ويتطلب تعديل السلوك الاخلاقي للمجتمع بحسب الهندوسية الشعور بالمسؤولية الجماعية، وترى الهندوسية أن المجتمع بلا قيود أخلاقية يصاب بالعمى الاجتماعي، وهذا

يُضر بتطور الفضائل الروحية، وبحسب الاوبانيشاد تضع الالهة التي تحمي المجمتع -العقبات في طريق الذين يبحثون عن الانعتاق من (سمسارا) أو العالم المادي، قبل أن يؤدوا واجباتهم الاجتماعية، وعندما يتغلب الفرد على ذاته المادية ترفع عنه تلك العقبات وتسقط واجباته تجاه المجتمع تدريجياً، وعلى كل انسان يتمتع بوعي إجتماعي أن يفي ديناً ثلاثياً لـ: اللآلهة، الريشي(درجة من المتقين الهندوس)، الأسلاف[٢٥].

ويحاول النظام الطبقي الهندوسي إظهار أهمية الزهد وإنكار الذات كفضائل رئيسية موجودة في الفيدا، ولابأس هنا أن نستعرض طبقات ذلك المجتمع وميزاتها من الناحية الاخلاقية، ووفقاً للفيدا تكون المجتمع من البراهمة، وهم رجال الفكر والعلم والأدب والتعليم، ثم الكاشتريا، وهم رجال الفعل والبأس، ثم الفايشا، وهم رجال الرغبات والتملك، وأخيراً الشودرا، وهم ذوي الذكاء المحدود العاجزون عن التعامل مع الافكار المجردة، ولكل من تلك الطبقات إحساسه الخاص بالكمال الانساني، وتعتمد هذه الطبقات الاربع على بعضها البعض من أجل الخير المشترك للمجتمع، وإن استغلال طبقة لأخرى يقلل من قوة ذلك المجتمع، وتصف البهاغافادغيتا السمات الاخلاقية لتلك الطبقات وواجباتها، فصفات البرهمي الاخلاقية هي السيطرة على العقل والحواس والصرامة والنظافة والجد والاستقامة والعلم والتبصر والايمان وامتلاك حداً أدنى من المنافع الدنيوية، يقبل الفقر بإرادته، ويرتضي العيش البسيط، فهو كاهن ومعلم معاً، يقود المجتمع ويوجه النصح للملك والرعية، وهو القيّم على ثقافة المجتمع، وله منزلة رفيعة اكتسبها بفضل روحانيته وأخلاقه، أما صفات الكشتريا فهي البطولة والشهامة والكرم والصلابة والذكاء والاقدام في المعارك، فيما صفات الفايشيا والشودرا الاخلاقية أو الروحية أدنى وتتركز في العمل وبذل الجهد الجسدي، وقد تحددت التراتبية في النظام الطبقي الهندوسي من خلال درجة الزهد الإرادي والفقر وضبط النفس ودرجة المعارف الفكرية والروحية أيضاً، وعلى البرهمي أن يكبت العديد من دوافع المتعة الجسدية، وإن الكاشتريا يتمتع بالقوة والسعادة، ولكنه مستعد في أي وقت لتقديم حياته من أجل حماية البلد، أما الفايشيا فقانونه الاخلاقي ومعارفه الفكرية ليست صارمة أو رفيعة كما في الطبقتين الأعلى، فيما الكمال الروحي والفكري والاخلاقي لدى الشودرا أقل، إذا كلما علا مركز الفرد في النظام الطبقي زادت واجباته تجاه أعضاء الطبقات الادنى، وفي المقابل إزداد زهده، وقد إرتأت الهندوسية أن

هذا التفاوت الطبقي فطري وبديهي!، لأن كل شخص هو المسؤول عن موقعه، فيولد الفرد في طبقة أدنى أو أعلى نتيجة لأفعال أنجزها في حياته السابقة، فإذا أنجز الفرد الواجبات التي تحدد طبقته يصبح في حياة قادمة مهيئاً للولادة ضمن طبقة أعلى(٢٦).

## الهندوسية الحديثة ـ تبلور القيم الانسانية في الفكر الهندوسي الحديث:ـ

يمكن القول أن الفكر الهندوسي في تطور مستمر، فإلى جانب كونه مؤثراً فإنه تأثر بطبيعة الحال شأنه في ذلك شأن أنواع الفكر الاخرى، وقد تكون تلك المؤثرات هي التطورات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، والتي من الضروري لفكر ما أن يتعاطى معها بأي طريقة كانت، سواء بالتطور الايجابي من أجل الاستيعاب والتعايش مع تلك التطورات، أو بالاصطدام والمواجهة لاثبات هوية سياسية أو دينية أو إجتماعية، وقد جربت الهندوسية الحديثة كلا الطريقتين:(الاستيعاب والمواجهة)، وسنتناول في هذا الموضوع مرحلة التاريخ الحديث والمعاصر للهندوسية، على أمل الوصول إلى فهم كيفية تعامل الهندوسية مع واقع الهند السياسي والاجتماعي.

ظهرت الهندوسية الحديثة كرد فعل على جملة من التطورات التي شهدتها الهند خلال تاريخها الحديث، ومن أهم تلك التطورات مجيء الاستعمار الاوربي إلى الهند بدءاً من القرن السابع عشر، وكانت ردود الافعال تلك على شكل حركات ومنها:

### ١- براهمو سماج Brahmo Samaj

هي جماعة دينية توحيدية اصلاحية، يُطلق عليها(البراهموية Brahmoism)، ويشير الاسم إلى تجمع من الأشخاص يدينون بالبراهموية، أو تجمع لجميع الناس دون تمييز في لقاء عام لعبادة معتدلة، ظهرت في البنغال مع خروج تاتوا بوديني سابا من جماعة (آدي دارما) عام ١٨٥٩، وعلى أثر نشر مدونة قواعد الممارسة لرابندر ناث طاغور أسست أول براهمو سماج عام ١٨٦١، وكانت واحدة من الحركات الدينية الأكثر تأثيراً، وأصبحت البنغال رائدة النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر، وتعرف الحركة بـ(آدي براهمو سماج) ومنها ظهرت البراهموية التي سادت في بنغلاديش، وقد أُدخلت إصلاحات عدة على الهندوسية منها: إلغاء نظام الطبقات، وتعليم المرأة، ومنع زواج القاصرين على المستوى القانوني في الهند، وهنالك سعي لجعل تلك الديانة ديانة معترف بها على المستوى القانوني(٢٧).

### ٢- آريا سماج arya Samaj

وتعرف أيضاً باسم جمعية النبلاء الهندية، وهي حركة دينية عملت على نشر القيم والممارسات القائمة على عصمة الفيدا، ومؤسسها هو سوامي دياناداSwami Dayanada في عام ١٨٧٥، وقد دعت هذه الحركة إلى العودة إلى كتب الفيدا الاولى الخالية من الاضافات، وتعارض عبادة الصور والتضحية بالحيوانات، وطقوس (الشرادا) التي تؤدى نيابة عن الاجداد، وتستند هذه الحركة في تعاملها مع الفرد إلى النسب وليس إلى الكفاءة والجدارة، وترى قدسية وعصمة الفيدا ومذاهب الكارما والسامسارا وقدسية البقرة، وقوانين النار الفيدية، وتدعو إلى تعليم الاناث، ولهذه الحركة مبادرات اجتماعية، إذ ترعى وتدير الكثير من دور الايتام والمدارس والكليات، كما عملت في مجال الاغاثة والعمل الطبي، لكنها واجهت انتقادات كثيرة بسبب تعصبها ضد الاسلام والمسيحية.

## رواد الهندوسية الحديثة:

### ١- راما كريشناRama Krishna ١٨٣٦-١٨٨٦

مؤسس هذا الحركة أو الطائفة هو راما كريشنا والمعروف أيضاً بـ:راما كريشنا برامهمسا Parahamsa، وكان له ستون حوارياً أو تلميذاً قاموا بنشر تعاليمه في البنغال، وله انجيل راما كريشنا، ويعرف شعبياً بأسم(كاثامريتا Kathamrita) وقد تميزت تلك الترجمة باسلوبها الادبي الشعبي البنغالي المؤثر[٢٨]، كما أكد على المساواة بين الاديان[٢٩].

### ٢- سوامي فيفاكاناندا[٣٠] Swami Vivekananda ١٨٦٣-١٩٠٢

كان لتلك التطورات على صعيد الدين الهندوسي أثرها البالغ في الواقع السياسي للهند، فقد مجد الثوريون القوميون الهند القديمة، وروجوا للهندوسية الجديدة على حساب التضامن القومي، ومن أبرز شخصيات هذه المدرسة سوامي فيفاكاناندا أحد أتباع راما كريشنا، لم يكن فيفاكاناندا متديناً متشدداً أو سياسياً، بل كان هندياً متديناً انكليزي الثقافة، وقد أسس مستفيداً من أسم الاخير بعثة راما كريشنا وهي شكل ديني جديد يعظ الرهبان ويحثهم على الهندوسية الجديدة المتنورة، لقد اعترف فيفاكاناندا نفسه بانه إلتزم بنوع من التقليدية المنتقاة ليجعل رسالته مفهومه لمستمعيه، كما أدان نظام الطبقات الذي كان مناقضاً للتضامن القومي، وركز على وحدة الفلسفة الهندوسية، وتساوي كل الاديان اقتفاءً منه أثر

معلمه راما كريشنا، لكن الهندوسية الجديدة التي طرحها سوامي لم تكن تجذب المسلمين الهنود لان المسلم المتدين لايساوي بين الاسلام وباقي الاديان، وكذلك المتدين الهندوسي، كما رفض المسلمون قيام غاندي بتضمين الله سبحانه مع الالهة الهندوسية في صلاته، لذلك كان بناء التضامن القومي على أساس روحي مهمة مستحيلة، وقد حظيت الهندوسية الجديدة باهتمام عالمي عندما شارك سوامي فيفاكاناندا في برلمان الاديان العالمي في شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٩٣، لذلك وسع نجاح سوامي الخارجي نفوذه الداخلي في الهند، حتى أن القوميين الليبراليين أمثال غوبل كريشنا غوجل، ولاحقاً الاشتراكيين أمثال جواهر لال نهرو أعترفوا بفضله عليهم(٣١).

لقد أراد فيفاكاندا أن يكون رسولاً معاصراً للفيدا، وانعاش الهندوسية عن طريق إعطاء تطبيق عملي لنصوصها من خلال نظرة اوسع للحياة ومكانة الانسان في الهندوسية، وذلك لن يتم إلا من خلال خوض تجربة الوصول إلى المكانة الروحية المعتمدة على الممارسة العملية بالاعتماد على وجود معلم مرشد بدلاً من الاعتماد على النصوص، وقد ذكر فيفاكاندا قائلاً:"إنني أرفض إعتبار أن الكلمة الاخيرة في وصول الانسان إلى الحرية ستكون لفلسفة الفيدا"، كما آمن فيفاكاندا بسلطة عقل الانسان في فهم تفسيرات نصوص الفيدا المختلفة، فذكر مانصة:"إنني شخصياً آخذ من الفيدا بقدر ما يتفق مع العقل، وإن أجزاء من الفيدا تبدو متناقضة"، ولكن أهم نقطة أكد عليها فيفاكاندا على كرامة الانسان في الفيدا، فقال:" نظراً للتماثل التام بين البراهمان وذات الانسان يجب البحث عن الاله في ذات الانسان نفسه "، وفي أثناء خطابه الذي ألقاه في برلمان الاديان في الولايات المتحدة عام ١٨٩٣ وصف الانسان بأنه عنصر مقدس كامل الوجود(٣٢).

لكن هذا الكلام بقي مجرد تنظير، وفيفاكاندا أراد تحويل الفيدا إلى تطبيق عملي!، يُظهر أن الانسان محور للفسلفة الهندوسية، لذا قرر التحول إلى خدمة الفقراء والمنبوذين في المجتمع الهندوسي، لان الفيدا لايمكن تحويلها إلى تطبيق عملي، إلا من خلال تحويلها إلى ممارسة عن طريق خدمة المجتمع، لكن المرحلة التاريخية التي مرت بها الهند آنذاك قد ألقت بظلالها الثقيلة على رؤية فيفاكاندا إلى الهندوسية والفيدا، ونعني إرهاصات الاستقلال عن بريطانيا وتقسيم الهند عام ١٩٤٧، وقد ذكر في هذا المجال ما نصه:" إن المجتمع هو أكبر وأعظم حيث تصبح الحقائق الاسمى بشكل عملي، وإذا كان المجتمع لا يتلائم مع الحقائق

الاسمى، فمن الواجب تكييفه في أسرع وقت ممكن"، كما إنتقد فيفاكاندا نظام التمييز الطبقي لدا البراهمة، وعلى الهندوس وخاصة المثقفين التخلي عن فكرة التمييز بين الناس، وعند ذلك فقط تحقق الهندوسية هدفها، لذا فإن تطبيق الفيدا يجب أن يكون من خلال التجرد من الانانية ومن أجل خدمة البشرية، والحفاظ على كرامة الانسان، وقد قال في هذا الصدد:" إن أي دين على وجه الارض لم يقف بوجه تحقيق مبدأ الكرامة الانسانية كما فعلت الهندوسية، ولا يوجد دين على وجه الارض لم يدس على أعناق الفقراء بالطريقة التي داست بها الهندوسية عليهم"(٣٣).

### ٢- رابندر ناث طاغور Rabindra nath Tagore

كان طاغور متمسكاً بشكل كبير بتعاليم الاوبانشيدا، ولكنه كان متأثراً أيضاً بشعراء وفلاسفة البنغال، لقد نظر طاغور إلى العالم كتعبير للروح، مع الميل إلى إثبات علاقة أوثق بين الانسان والله، وكانت لطاغور مجموعة محاضرات بعنوان(دين الانسان) تطرق فيها إلى أفكار مهمة مثل: الكون والانسان، فعلى سبيل المثال ذكر قائلاً:"إن الكون الذي نعيش فيه هو جملة مايشعر به الانسان وما يعرفه وما يتصوره ومايفهمه بعقله، وكل شيء يكوّن المعرفة لديه، حالياً أو في وقت آخر، وبطبيعة الحال فإن الانسان يتأثر فيه بأشكال مختلفة، من خلال حواسه وتصوراته وعقله"، وقد ترددت فكرة مكانة الانسان في الكون في الكثير من كتابات طاغور، والتي ظهرت في الكثير من مراسلاته مع آينشتاين عن إستقلالية العقل الانساني، وهذا لا يتم إلا إذا كان الصدق هو الموجه للانسان، وعندها يصبح الانسان "إنسان سماوي"-على حد تعبير طاغور، ويمكن أن نسميه نحن (الانسان الكامل)، وربط ذلك بالتقدم، وقد وضح هذه الفكرة قائلاً:"إن التقدم يعني أن هنالك كمالاً مثالياً يسعى الفرد للوصول إليه عن طريق الاستزاده من المعرفة والقوة والمحبة، وهكذا يقترب من الكون"، هذا من جهة ومن جهة ثانية، إن وجهة نظر طاغور عن دين الانسان ومصيره تتسم بجانب إنساني واضح حيث قال:"إن الانسان مازال يبني أدياناً تساعده في الوقوف ضد ميوله الطبيعية، بما يبدو متناقضاً وهو أنه ليس مايبدو في بادئ الأمر، بل شيء اكبر من ذلك"، لقد رأى طاغور أن الانسان يحمل نزعة تجاه اللانهائية واللامحدودية، بل إن الانسان بطبيعته يسعى إلى تجاوز ذاته في محاولته للوصول إلى الانسان الخالد، لكن ذلك بحاجة إلى ولوج قيم سامية ربطها طاغور بحياة الانسان قائلا:" إن حياتنا تكتسب ما يُدعى بالقيم الانسانية، ولكن

من خلال التطبيق العملي والسلوك الجيد والمعرفة والتطور"، فالانسان منذ بداية تاريخه سعى لاكتساب هذه القيم تاركاً وراءه لذة الانتصارات الدنيوية المزعومة، وهذا يعني أننا نحاول أن نحقق في نفسنا الانسان الخالد لكي لانموت ولا نفنى، وإن القيم التي يبحث عنها الانسان تشكل حقيقته التي هي الإله أو البراهمان حسب فلسفة طاغور، وبهذا فإن طاغور يقف في منتصف الطريق بين الفلسفة المثالية التقليدية والفلسفة الانسانية المعاصرة، ويمكن القول أن طاغور لم يتخلى عن القيم الروحية التي تربطه بالله، وهذا تطلب من طاغور أن يكون مؤمناً بشكل فطري بكرامة الانسان، إن المماثلة التي أجراها طاغور بين الخالق أو الذات الاعلى وبين الانسان الخالد أدت به إلى الايمان بالوحدة الانسانية، وظل متمسكاً بهذه الفكرة طيلة حياته، وقد عبر عن ذلك بإقتباسه مقطعاً من الاوبانشيد:"إن الحق اللانهائي والانسان الخالد واحد لا فرق بينهما"(٣٤).

هنا تحديداً لا يمكن تجاهل محمد إقبال ودوره المهم في الفلسفة الانسانية، رغم إن الحديث عن الهندوسية، إلا أن ماشكله إقبال من نسق فكري انساني إسلامي معاصر لطاغور أثر في الأخير في تلك المرحلة من تاريخ الهند، والتي كانت تكافح فيها ضد بريطانيا من وهنالك تشابه إلى حد كبير بينه وبين طاغور من أجل الحرية؛ جعل من الواجب التعمق في الفكر الانساني بشكل أفقي في محاولة للمساواة بين الفكرين الانساني الاسلامي، والفكر الانساني الهندوسي، على يد كبار مفكري الهند آنذاك.

رأى إقبال إن الاعتقاد بالكرامة الانسانية كثابت في الحياة، ولكن الاختلاف يكمن في أن تصور طاغور عن الانسان مستمد من التراث الميتافيزقي الذي زخرت به الهندوسية، أما تصور إقبال فإنطلق من الدين الاسلامي وبحسب القرآن الكريم، فإن الله أعطى الانسان ميزة مهمة هي: أنه ممثل لله في الارض(إني جاعل في الارض خليفة)، وهذا يعني أنه تحمل مسؤولية مع إمتلاكه الحرية، وبهذا بكون إعتقاد إقبال بإرتقاء الانسان أقوى من إعتقاد طاغور بإرتقاء الانسان كمخلوق بايلوجي مفكر، كما إن تصور القرآن عن الانسان حسب إقبال، منح الانسان أهمية كبيرة وقدراً كبيراً من الكرامة الانسانية إزاء علاقة الانسان بالله والكون، كما إن الحياة ساكنة عند طاغور، وهي بمثابة نمط جميل صنعه الله تعالى، لذا فالسعادة لدى طاغور تكمن في الاندماج مع هذا الجمال الذي مثل الحقيقة بشكل متناهي بحيث فقد ماهيته، أما إقبال فيرى أن الاندماج في الحقيقة النهائية لا تتطلب من الانسان أن

يتلاشى بشكل تام، بل من خلال ممارسة دوره البنّاء في الحياة، وقد ذكر إقبال في هذا المجال: "إن هنالك قوة ديناميكية في الانسان نحو الكمال، من خلال دفعه للبحث عن الله، والبحث عن ذاته، وهذا مثل المبدأ الفعال في الحياة"، وما أطلقت عليه الفيدا (إنعتاق الروح).

رغم تلك الاختلافات بين إقبال وطاغور، إلا أنه ثمة تشابه من الناحية الفلسفية بين رؤية الفيدا للانعتاق والخلاص بإعتباره إدراكاً للذات، ووجهة نظر إقبال التي أتاحت تصوراً مثالياً متماسكاً عن الانسان ودوره في الحياة، من خلال توظيف المثل الانسانية التي اشتمل عليها الاسلام(٣٥).

### ٣- غاندي

حوى فكر غاندي قيماً انسانياً عديدة، وحّد بينها وبين الدين، وهذا يعارض فكر ومعتقدات الكثير من معتقدات الهندوس التي ترى تعارضاً بين خدمة الاله وخدمة الانسان، وكثيراً ما أكد غاندي أن الله ليس بحاجة إلى الانسان وخدمته، وإن الذين اعتقدوا بأن الله يطلب أمور معينة من الانسان قد وقعوا في خطأ التجسميم والحلول، وهذا الامر كما هو معروف من الاركان المهمة في العقيدة الهندوسية، وهنا يكمن خطر التصور في أن يكون الله شخصاً، وقد رفض غاندي ذلك التصور، ومال إلى فكرة (أن الله قوة غامضة تسود الكون)، وفي السنوات الاخيرة من حياته أكد على مجموعة أفكار مهمة هي: (الله هو الصدق والمحبة)، (الله عبارة عن نظام خُلقي)، (الله مصدر للقوة وهو المحبة، وفوق كل هذه الاشياء الله ضمير)، إن أسباب تلك المعتقدات، هي أن غاندي -عندما تحدث عن الله - بوصفه (غاندي) زعيماً للامة الهندية، بأفكار ورؤى متنوعة في مناسبات مختلفة(٣٦).

لقد أعتقد أن القيم والمثل الخُلقية والروحية تعمل كقوى مهمة في حياة الانسان، ومن أجل ذلك تغاضى غاندي عن الحد الفاصل بين القيم والمثل الاخلاقية كمبادئ، والقوانين التي ترسمها الدولة وتنفذها، وبما إن القيم والمثل الاخلاقية في حالتها المثالية من صنع الله تعالى وهي بمثابة المعيار، فإن غاندي يُقر بصفة مباشرة بهذه الحقيقة عندما تحدث عن طاعة قانون المثل الاخلاقية وهو الله بحد ذاته.

إن تصور الله كقانون عالمي، بل كقانون عالمي معياري، أو مجموعة من القوانين سيكون مقبولاً لدى غالبية أصحاب الفلسفة الانسانية الذين عززوا المثل الدينية، وتكمن أهمية فكر

غاندي في الاخلاص بتطبيق الدين بكل جد واخلاص، ورأى إن الانسان المثالي المتدين، هو أمر أكثر صعوبة من كون المرء عالماً كبيراً للحساب أو شاعراً أو فيلسوفاً، ولكن هل أرتبط الانسان الهندوسي المثالي لدى غاندي بالواقع ؟، يمكننا القول إن غاندي قاد حركة التحرر في بلاده من خلال قوانين أخلاقية صارمة لضمان العدالة للمظلومين والمساكين، وأستطاع تخطي العوائق المختلفة في ذلك الطريق، وكان أمله قوياً ببذرة الخير الموجودة لدى الانسان، فصار ذلك بدون شك سر تفائله نحو مستقبل الانسان ومصيره، إنطلاقاً من إلتزامه باللاعنف، لأن اللاعنف لم تكن مترسخة في الجانب المثالي لديه فحسب، بل في تطور الانسان حضارياً، وقد عبر عن ذلك بقوله:" إن قانون المحبة أو الصلة الروحية أو الجاذبية إذا ساد العالم، تبقى الحياة بإستمرار صامدة بوجه الموت، ويبقى الكون بإستمرار رغم إستمرار الدمار، فالحق ينتصر على الباطل، والمحبة تنتصر على الكراهية، والله ينتصر على الشيطان دائماً".

وقال في سياق آخر: "رغم إن المجتمع لا يقوم أساساً على قبول عدم العنف عن وعي، إلا إن الانسان يعيش على إحتمال متبادل(العنف واللاعنف)، ولولا هذا لكان البقاء للاقلية الاكثر ضراوة، غير إن الامر ليس هكذا، فالمحبة هي الرابطة في المجتمع المتحضر.."

لقد صنع كل من طاغور وإقبال وغاندي المجال القيمي لوجود الانسان، ووفروا التوجيه للنمو الروحي والاخلاقي للهنود، وكلما كان ذلك النمو أسرع، كان في صالح المسلمين والهندوس، إذا حاولوا فهم المزايا الايجابية لهم والاستفادة منها، ولابد أن ينتفع كلا المجتمعين بتلك الميزات الايجابية، ومن خلال دمج تلك المميزات تصبح معبرة عن الشعب الهندي وطبيعته(٣٧).

ولكن بعد مرحلة النخب الهندوسية التي تحدثنا عنها أعلاه، طرأ تغير جديد على الفكر الهندوسي، تمثل بأتخاذها أبعاداً سياسية أكثر منه دينيةً فظهرت (الهندوتافا) Hindutva، وقد أسسها فينياك دامودار سفاركار Vinayak Damodar Savarkar(٣٨) عام ١٩٢٣، وتجسدت سياسياً في حزب بهارتيا جناتا Bharatiya Janata، وتعني الهندوتافا السعي لتكون الثقافة الهندوسية طريقة حياة كاملة تؤسس لهيمنة الهندوس على الهند، يقول سفاركار:"الهندوتافا ليست كلمة ولكن تاريخ، وليس التاريخ الديني والروحي فقط، بل التاريخ الهندوسي بأكمله"، وقد زاد انتشارها بدءاً من عام ١٩٩٧ أثر فوز حزب

بهارتيا جاناتا، كما ظهر اتجاه نحو عولمة الهندوسية واحصاء معتنقيها حول العالم وعدها ديانةً عالمية(٣٩).

## موقف الهندوسية من العلاقات بين الأديان:

إنطلاقاً من مبدأ (تناغم الاديان) سنتطرق إلى رؤية الفيدا حول مسألة التعايش بين الاديان خاصة وإن موضوع الصراع بين المسلمين والهندوس يتنافى مع ذلك المبدأ، فالفيدا تدعو إلى التعامل اللطيف مع الكائنات الادنى من الانسان، كالدواب والطيور لانها تساعد على تحقيق السعادة الانسانية، لذلك يرتبط تمتع الانسان باللذات الارضية من خلال تأدية واجباته تجاه الالهة ورفاقه في الانسانية، فالرضا الذي ينشأ من علاقة متناغمة مع الاخر يحقق سعادة داخلية ويفتح بوابة الطريق إلى الحياة العليا، أما الرضا الذي ينشأ من التنافس القاسي مع الاخرين فهذا يغضب الالهة ويجلب الاحباط في النهاية(٤٠).

ذهب المفكرون الهندوس المحدثين مثل سوامي فيفاكاندا إلى إن الهندوسية منذ عصور الفيدا أقدم تاريخ مدون لثقافة الهند الروحية حتى زمن راما كريشنا، قد أظهرت حسن النية والاحترام للاديان الاخرى، وقدر تعلق الامر بالمسلمين، بيّن سوامي وجهة نظره بخصوص نظرة الهندوس إلى المسلمين فذكر أن الملوك الهندوس ساعدوا المسلمين في كثير من الاحيان على بناء المساجد، رغم أن حكام الهند المسلمين دمروا المعابد الهندوسية وشوهوا الايقونات الهندوسية، وحولوا الهندوس إلى الاسلام بطرق لا تخلوا من التعسف أحياناً، لكن الاستباكات الدينية التي حصلت بين الهندوس والمسلمين خلال القرن الحالي كان وراءها عوامل سياسية إلى حدٍ بعيد وغالباً ما أُستخدم الدين كذريعة(٤١).

ترى الهندوسية المعاصرة إن الاديان لايمكن أن تكون كاملة بالمطلق، إلا أن الله كامل، والدين ليس لله ولكن يُظهر الطريق اليه، فقد تنحرف تعاليم ديانة ما عن تعاليم مؤسسها، لقد ورد في الاوبانيشاد:"مثلما تختفي الانهار المتدفقة في البحر وتنحسر اسماؤها واشكالها، كذلك يبلغ الرجل الحكيم المتحرر من الاسماء والاشكال براهمان الاعظم من العظمة"، وبناءً على ذلك لا يمكن للمرء أن يميز بين المسلم والمسيحي واليهودي والهندوسي عندما يستغرقون في الروح اللامتناهي، لان الاختلافات لا تظهر إلا في المستويات الدنيا، ولكن في القمة تختفي كل الفروقات، ويجب على الهندوسي الجيد مثلما يحترم كل تجسد إلهي -عليه

إحترام كافة الاديان، ويمكن للمرء أن يرى في تعاليم السيد المسيح، والنبي محمد، والنبي موسى. وكريشنا وبوذا اختلافات ظاهرية بسبب المتطلبات الخاصة بالشعب الذي يعلّمه هؤلاء الانبياء، ولكنهم عند اتحادهم مع الحقيقة يختبرون الخير والجمال والحقيقة ذاتها، إن التجارب الداخلية المشتركة للانبياء لا يلحظها أتباعهم، في حين تسبب الاختلافات الخارجية الظاهرية بين تعاليمهم الكثير من المواجهات والجدالات الدينية(٤٢).

تعد التجارب الروحية لراما كريشنا عن التناغم بين الاديان تعبيراً بليغاً عما يجب أن تكون عليه نظرة الهندوسية إلى مسألة التعايش بين الاديان، وقد قال في هذا المجال: "إننا جميعاً ننادي بالله ذاته، لذلك يجب التخلي عن الانانية والمكر، بعضهم يقول ان الله مجرد من الشكل، وبعضهم الآخر يقول ان لله أشكالاً. أقول: فليتأمل المرء في الله ذي الشكل إن كان يؤمن بالشكل، وليتأمل الآخر بالله المجرد من الشكل إن كان لا يؤمن بالشكل. ما أعنيه أن التعصب سيئ، إن من السيئ أن أشعر أن ديانتي وحدها دين حق وإن الديانات الاخرى محقة أو مخطئة، حقيقية أو مزيفة. أقول هذا لأن المرء لا يستطيع أن يعرف الطبيعة الحقيقية لله إلا إذا نجح في تحقيقه"(٤٣).

إن الهندوس والمسلمين والمسيحيين يبحثون جميعهم عن الموضوع ذاته، فالله خلق أدياناً مختلفة لتلائم التواقين والازمنة والبلدان على اختلافها، ولنفترض انه هنالك اخطاء في الديانة التي قبلها المرء، فهذا ليس من شأن أحد فالله يصحح له تلك الاخطاء إن كان صادقاً ومجتهداً، وبناءً على ذلك فإن الانسجام بين الاديان الذي بشر به راما كريشنا يلبي حاجة العصر الملحة، لقد ضاق العالم بسبب تقدم العلم والتكنولوجية وأقترب الناس من بعضهم البعض، فكيف إذا سيعم السلام العالم إذا لم تبدِ الاديان على اختلافها إحتراماً متبادلاً ولم تعمل من أجل الخير المشترك من للبشرية(٤٤).

لكن كل ذلك لم يكن ذو تأثير كبير في تاريخ العلاقة بين المسلمين والهندوس أو مستقبلها، فقد أصبحت الهندوسية وتقاليدها وتعدد الالهة وكثرة معابدها، وفلسفاتها وما يراد لها أن تكون بحسب آراء كل من أراد القيام بعمل سياسي أو إجتماعي حجة على صاحب ذلك الرأي.

لقد نمت الحركات الهندوسية المتطرفة وتزايد نفوذ هذه الجماعات، مع تزايد الدعم

السياسي لها من قبل العديد من الاحزاب والشخصيات السياسية واضحت القضايا الدينية محوراً مهماً للحصول على الدعم السياسي، وهذا ما ظهر بشكل واضح في تبني حزب بهارتيا جاناتا لقضية معبد رام في ايودهيا لتعزيز قوته السياسية في الهند، أو في الحركة القومية الهندوسية(٤٥).

## الخاتمة:ـ

١- رأى المفكرون الهندوس المعاصرون أن الهندوسية بصيغتها القديمة سوف تهزم أمام الانفتاح الذي يشهده العالم في مختلف المجالات، وخاصة الحريات العامة والخاصة التي تعد من مزايا البلدان المتقدمة.

٢-إن إقرار المفكرين الهندوس بقصور الهندوسية الحديثة في مواكبتها للفكر الانساني، هو بمثابة اعتراف بالعديد من الأخطاء التاريخية التي ارتكبتها الهندوس على الصعيد الانساني في الماضي ليس بحق أتباع الاديان الاخرى الموجودة على أرض الهند فحسب، بل بحق الهندوس أنفسهم.

٣- ليس من اليسير تجاوز التراث الهندوسي القديم، الممتد على مدى مئات السنين، والمليء بالتمييز الطبقي والديني، وماترتب على ذلك من بناء النظام السياسي الهندوسي في الهند بعد عام ١٩٤٧، فرغم مابذله المفكرون الهندوس على صعيد إستعادة رونق البعد الانساني في الهندوسية، إلا أن الواقع السياسي الحاضر بقوة في الهند غير ذلك، وخاصة بعد تطبيق حزب بهارتيا جاناتا للهندوتافا في الهند.

٤- لقد أظهر الفكر الهندوسي المعاصر التناقض الكبير الذي تعاني منه الهندوسية في العديد من مبادئها، فعلى سبيل المثال تتعارض النزعة الانسانية عموماً مع التمييز الطبقي، وهذا مانلاحظه بشدة في نظام الطبقات الهندوسي، لذا حاول المفكرون الهندوس علاج ذلك التناقض من خلال توظيف القيم الانسانية في الهندوسية في مواجهة النزعات العنصرية والطبقية الموجودة فيها.

٥- إن وجود هذا العدد من المفكرين الذين حاولوا علاج تلك المشكلات يعني ان المشكلة اكبر بكثير من مشكلة داخل فئة معينة، خلال مرحلة تاريخية مرت بها، إذ

ان مستبل الهند بأكمله يتوقف على طبيعة الايديولوجية التي ستسير عليها الهند حكومةً وامةً، وهذا ما لحظناه في الاونة الأخيرة من التأكيد على الهندوتافا مقابل الفكر الهندوسي المنفتح الذي نادى به المفكرون الهندوس المعاصرون.

## هوامش البحث

(١) ستار جبار علاوي، التجربة الهندية، ط١، العربي للنشر والتوزيع-مصر، ٢٠١٧، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) خزعل الماجدي، الحضارة الهندية، ط١، بيروت، ٢٠١٩، ص٢٨٢-٢٨٧..

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨٢-٢٨٥.

(٤) ستار جبار علاوي، المصدر السابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٥) خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٢٨٢

(٦) المصدر نفسه، ص٢٨٧.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٩٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٩) غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، د.ت، ص٤٦١.

(10) Jay Mazo، Ramayana retold، American Gita society.2001، P.3.

(11)Anjana Motihar Chandar، India Condensed 5000 Years of History and Cultare، Marshall Cavendish،2007،P.P.102.

(12)Gazetteer of The Province of Oudh.،Vol.i،P.108.

(13) Anjana Motihor، Op.Cit.، P. 102.

(14) E.B.Harell، E.B.Harell; The History of Aryan Rule in India،P. 24.

(١٥) سي راجاجوبال اشاري، ملحمة المهابهاراتا، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص١٣.

(١٦) خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٢٩٨.

(17) Jay Mazo، Mahabharata Retold by C.Rajagala Chari, Internationl Gita Societ, India, N.D, P.6.

(18) W.Crooke.E.A, An Introduction To The Popular Religion and Folklore of Northern India, Allahabad,1894،P.29.

(١٩) خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٢٠)جان كلود كارييه، بيتر بروك، المهابهارتا، ترجمة، حسن ناصر، مركز دراسات الكوفة، ص١٧-١٨.

(٢١) سوامي نيخيلاناندا، الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح، ترجمة، نبيل محسن، ط١، ٢٠٠٠، ص١٨-١٩.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٢١.
(٢٣) المصدر نفسه ـ ص٢٢.
(٢٤) المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.
(٢٥) سوامي نيخيلاناندا، المصدر السابق، ص٦٩-٧٠.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٧٣-٧٤.
(٢٧)خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٢٨٢
(٢٨) خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٣١٣-٣١٤.
(٢٩) ديتمر روذرموند، الهند نهضة عملاق آسيوي، ترجمة مروان سعد الدين، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٢.
(٣٠) يرد أحيانا بأسم سوامي نيخيلاناندا.الباحث.
(٣١) المصدر نفسه، ص٢٢.
(٣٢) ن.ك.ديفاراجا، عنصر الانسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي، مجلة ثقافة الهند، م٣٤، ع٣-٤، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ١٩٨٣، ص٣٦.
(٣٣) المصدر نفسه، ص٣٦-٣٩.
(٣٤)المصدر نفسه، ص٤٠-٤٥.
(٣٥) المصدر نفسه، ص٤٣-٤٥.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٤٦-٤٩.
(٣٨) فيناياك دامودار سفاركار(١٨٨٣-١٩٦٦)، سياسي وناشط هندي من أجل الاستقلال صاغ الفلسفة الهندوسية القومية(الهندوتافا)، ولد في بلدة ناشيك-اقليم ماهارشتا، بدأ سافركار نشاطه السياسي في المدرسة الثانوية، واستمر في القيام بذلك في كلية فيرغسون في المملكة المتحدة، من نشاطاته الاخرى نشر كتاب بعنوان(حرب الاستقلال الهندية) حول الثورة الهندية عام ١٨٥٧، وقد تم حضره من قبل السلطات البريطانية، وفي عام ١٩١٠ أُلقي القبض عليه في بريطانيا، حاول الهرب إلى فرنسا أثناء عملية ترحيله إلى الهند ولكنه فشل، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، وعندما أُفرج عنه بدأ بالتنقل في ارجاء الهند، وكان خطيباً كاتباً متمكناً دافع عن الوحدة السياسية والاجتماعية الهندوسية، كما تولى رئاسة حزب مهاسابا الهندوسي، ولكنه استقال بعد ذلك، وقد وجهت إليه تهمة التآمر لاغتيال غاندي، ولكن المحكمة الهندية برأته، للمزيد يُنظر:Veer Savarkar،Hindu Rashtra Darshan ، Maharashtra Poona.،Prantik Hindusabha
(٣٩) خزعل الماجدي، المصدر السابق، ص٣١٦.
(٤٠)سوامي نيخيلاناندا، المصدر السابق، ص٢٠.

(٤١) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٤٢) المصدر نفسه، ص١٨٦-١٨٧.
(٤٣) المصدر نفسه، ص١٨٩.
(٤٤) المصدر نفسه ـ ص١٩٠.

## قائمة المصادر


### أولاً: المصادر العربية والمعربة

١-جان كلود كاريبه، بيتر بروك، المهابهارتا، ترجمة، حسن ناصر، مركز دراسات الكوفة.
٢-خزعل الماجدي، الحضارة الهندية، ط١، بيروت، ٢٠١٩.
٣-ديتمر روذرموند، الهند نهضة عملاق آسيوي، ترجمة مروان سعد الدين، ط١، ٢٠٠٨.
٤-ستار جبار علاوي، التجربة الهندية، ط١، العربي للنشر والتوزيع-مصر، ٢٠١٧.
٥-سوامي نيخيلاناندا، الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح، ترجمة، نبيل محسن، ط١، ٢٠٠٠.
٦-سوامي نيخيلاناندا، الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح، ترجمة، نبيل محسن، ط١، ٢٠٠٠.
٧-سي راجاجوبال اشاري، ملحمة المهابهاراتا، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٢.
٨-غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، د.ت.
٩-ن.ك.ديفاراجا، عنصر الانسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي، مجلة ثقافة الهند، م٣٤، ع٣-٤، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، ١٩٨٣.

### ثانياً: المصادر الأجنبية

1-Anjana Motihar Chandar, India Condensed 5000 Years of History and Cultare, Marshall Cavendish.
2-E.B.Harell, E.B.Harell; The History of Aryan Rule in India.
3-Gazetteer of The Province of Oudh.,Vol.i.
4-Jay Mazo, Mahabharata Retold by C.RajagalaChari, Internationl Gita Societ,India, N.D.
5-Jay Mazo, Ramayana retold, American Gita society.2001.
6-Veer Savarkar, Hindu Rashtra Darshan, Maharashtra Prantik Hindusabha,Poona.
7-W.Crooke.E.A, An Introduction To The Popular Religion and Folklore of Northern India, Allahabad,1894.

### ثالثاً: المواقع الالكترونية

1- https://www.aljazeera.net/news.